

سورة الحديد (الآيات: 1-4)

أهداف الدرس

- 1- أن أتعرف بعض صفات الله تعالى الدالة على كماله.
- 2- أن أستنتج من الآيات دلائل قدرة الله وإحاطة علمه.
- 3- أن أنزه الله عز وجل عن كل ما لا يليق بجلاله.

تمهيد

سورة الحديد مدنية وآياتها ثمان وعشرون ، جاءت في ترتيب المصحف بعد سورة الواقعة؛ لأن هذه بدئت بالتسبيح ، وتلك ختمت به ، وافتتاح السورة بذكر تسبيح الله وتنزيهه مؤذن بأن أهم ما اشتملت عليه هو إثبات صفات الله الدالة على كماله ، وتنزيهه عما لا يليق بجلاله .

فما هي صفات الله الدالة على قدرته وعلمه في الآيات؟ وكيف أستفيد منها في تزكية نفسي؟

الآيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ① لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُخَيِّرُ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ② تَعَالَى قَوْلُ الْآخِرِ وَالصَّالِحِ وَالْبَاهِجِ وَهُوَ بِكُلِّ

شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ فَوَالَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ
 فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَفَوْقَ عَرْشِ اللَّهِ
 يَمَاتَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ [سورة الحديد: 1-4]

الفهم

الشرح:

الْأَوَّلُ : ليس لوجوده بداية

وَالْآخِرُ : ليس لبقائه نهاية.

يَلْجُ : يدخل.

يَعْرُجُ : يصعد.

استخلاص مضامين الآيات:

1- عم نزه الله تعالى في الآيات؟

2- ما هي صفات الله تعالى التي أقيم الدليل على ثبوتها في الآيات؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولاً: تنزيه الله عما لا يليق بجلاله:

افتتح الله عز وجل هذه السورة بتنزيهه الله عما لا يليق بجلاله، فقال سبحانه: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هذا التسبيح المذكور هنا وفي أوائل سائر

السور المسبحات، يحتمل أن يكون حقيقة، أو أن يكون بلسان الحال؛ لأن كل ما في السموات والأرض دليل على وجود الله وقدرته وحكمته. والأول أرجح؛ لقوله تعالى:

﴿وَلِكُلِّ لَاقِفَقْلَوْن تَسْبِيحُفْمَرْ﴾ [الإسراء: 44].

وذكر التسبيح هنا وفي الحشر والصف بلفظ سبح الماضي، وفي الجمعة والتغابن بلفظ يسبح المضارع، وكل واحد منهما يقتضي الدوام.

وقوله: ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ عام في جميع المخلوقات ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي: وهو العزيز بقدرته وسلطانه، الحكيم بلطفه وتدبيره وحكمته، و﴿مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هو سلطانها الحقيقي الدائم؛ لأن ملك البشر مجاز فان. [المحرر الوجيز لابن عطية: 257/5]

ثم قال تعالى: ﴿يُخَيِّرُ وَيُمِيتُ﴾ لما أخبر بأنه له الملك، أخبر عن ذاته بهذين الوصفين العظيمين، اللذين بهما تمام التصرف في الملك، وهو إيجاد ما شاء وإعدام ما شاء، ولذلك أعقبهما بالقدره التي بها الإحياء والإماتة فقال: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البحر المحيط في

التفسير، لأبي حيان: 100/10]

ثم قال تعالى: ﴿فَوَالَّذِينَ قَوْلَ وَالْآخِرِ﴾ أي: ليس لوجوده بداية ولا لبقائه نهاية ﴿وَالْأُولَى﴾ أي: الظاهر للعقول بالأدلة، والبراهين الدالة على الباطن، الذي لا تدركه الأبصار، أو الباطن الذي لا تصل العقول إلى معرفة كنه ذاته، وقيل: الظاهر: العالي على كل شيء، فهو من قولك: ظهرت على الشيء إذا علوت عليه ﴿وَالْبَاطِنِ﴾ الذي بطن كل شيء أي: علم باطنه، والأول أظهر وأرجح.

ودخلت الواو بين هذه الصفات لتدل على أنه تعالى جامع لها، مع اختلاف معانيها، وفي ذلك مطابقة لفظية، وهي من أحسن أدوات البيان ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي: أن

الله تعالى عليم بجميع الأشياء. وقد تقرر أن علمه تعالى محيط بكل شيء، واجبات وجائزات ومستحيلات، يعلم الكليات والجزئيات، لا يعزب عن علمه شيء ظاهرا كان أو خفيا، وهو ما تفيد صيغة المبالغة التي هي ﴿عَلِيمٌ﴾ إذ تدل على أنه تعالى تام العلم بكل شيء جليه وخفيه.

ثانيا: دلائل كمال قدرة الله وإحاطة علمه:

بعد تنزيه الله تعالى ووصفه بما يدل على كمال قدرته وتمام علمه، جاءت هذه الآيات لإقامة الدلائل على ذلك. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ هذا استئناف يفيد الاستدلال على كمال قدرة الله تعالى، قال القرطبي: «ومعنى: ﴿خَلَقَ﴾ أبدع وأوجد بعد العدم وبعد أن لم تكن شيئا ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من يوم الأحد إلى آخر يوم الجمعة. قال الحسن: من أيام الدنيا. وقال ابن عباس: إن اليوم من الأيام الستة التي خلق الله فيها السماوات والأرض مقدار ألف سنة من سني الدنيا. وقال الضحاك: في ستة آلاف سنة، أي: في مدة ستة أيام من أيام الآخرة». [الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: 14/86]، ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ قال ابن جزي عن هذا اللفظ حيث وقع: «حمله قوم على ظاهره، منهم ابن أبي زيد وغيره، وتأوله قوم بمعنى: قصد كقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: 28]. ولله در مالك بن أنس في قوله للذي سأله عن ذلك: الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والسؤال عن هذا بدعة. وقد روي مثل قول مالك عن أبي حنيفة، وجعفر الصادق، والحسن البصري، ولم يتكلم الصحابة ولا التابعون في معنى الاستواء، بل أمسكوا عنه، ولذلك قال مالك: السؤال عنه بدعة» [التسهيل 1/290]

وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ استئناف لتقرير عموم علمه تعالى بكل شيء، ومن ذلك أنه يعلم ما يدخل في الأرض من المطر والأموات وغير ذلك، وما يخرج منها من النبات وغيره، وما ينزل من السماء من المطر والملائكة والرحمة والعذاب وغير ذلك. وما يعرج فيها أي: يصعد ويرتفع من الأعمال وغيرها.

قوله: ﴿وَقَوْمٌ مَعَكُمْ، أَيَّ مَا كُنْتُمْ﴾ يعني أنه حاضر مع كل أحد بعلمه وإحاطته. وأجمع العلماء على تأويل هذه الآية بذلك.

قوله: ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي: لا يخفى عليه القليل ولا الكثير من الأعمال، وهو ترغيب من حيث يدل على أنه تعالى يجازي على القليل، كما يجازي على الكثير، وتحذير من خلافه الذي هو الشر. [مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي: 5/4].

ثالثاً: مقاصد الآيات:

تقرر هذه الآيات عدة مقاصد تربوية، منها:

- تقوية الإيمان بوجود الله عز وجل واتصافه بصفات الكمال الدالة على تمام قدرته وسعة علمه وسلطانه على الإنسان والكون خلقاً وإبداعاً، ابتداءً وانتهاءً.
- تنزيه الله تعالى يوجب عبادته؛ لأن عبادة الله هي غاية وجود الخلق.
- تزكية النفوس ومحاسبتها باستحضار المراقبة الإلهية والمعية الربانية.
- الإخلاص في العمل، والإحسان في كل شيء، والسعي إلى تحقيق النفع للفرد والمجتمع في السر والعلن.

التقويم

- 1- أوضح معنى التسبيح في الآيات؟
- 2- أستخرج من الآيات الصفات الدالة على قدرة الله وتمام علمه.
- 3- كيف يكون استحضار هذه الصفات دافعا لإصلاح الفرد والمجتمع؟

الاستثمار

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْغَاضِرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ طَعِمَ طَعْمَ الْإِيمَانِ: مَنْ عَبْدَ اللَّهِ وَحَدَهُ فَإِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ رَافِدَةً عَلَيْهِ فِي كُلِّ عَامٍ، وَلَمْ يُعْطِ الْهَرِمَةَ وَلَا الدَّرَنَةَ وَلَا الشَّرْطَ اللَّائِمَةَ وَلَا الْمَرِيضَةَ وَلَكِنْ مِنْ أَوْسَطِ أَمْوَالِكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَسْأَلْكُمْ خَيْرَهُ، وَلَمْ يَأْمُرْكُمْ بِشَرِّهِ، وَزَكَّى عَبْدٌ نَفْسَهُ فَقَالَ رَجُلٌ: مَا تَزَكِيَةُ الْمَرْءِ نَفْسَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ مَعَهُ حَيْثُ مَا كَانَ».

[السنن الكبرى للبيهقي، كتاب الزكاة، باب لا يأخذ الساعي فيما يأخذ مريضا، ولا معيبا]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

- 1- أستخرج بعض آثار المراقبة الإلهية من خلال النص.
- 2- كيف نستفيد من المراقبة الإلهية في تزكية النفوس والرقى بالمجتمع؟

أتأمل الآيات: 5-8 من سورة الحديد وأجيب عن الآتي:

1- أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: **يَذَاتِ الصُّورِ** - **مُتَخَلِّفِينَ فِيهِ** - **آخِذِينَ بِلَفَافِهِمْ**.

2- أوضح بعض مظاهر قدرة الله عز وجل في نظام الليل والنهار.

3- أبحث عن أهمية إنفاق المال ، وآثاره على الفرد والمجتمع.